الفصل الثالث

إسماعيل الفاروقي وجون اسبوزيتو: أنموذج للحوار الإسلامي - المسيحي

ناصر عبد الرزاق الملا جاسم[1]

مقدمة:

في هذه المعالجة[2] تم تحديد عدد من الأهداف تمثلت، أولاً بتتبع محطات حياة إسماعيل الفاروقي بمقدار إضاءتها لموضوع البحث الرئيسي، ألا وهو موقف الفاروقي من الديانات الإبراهيمية، والمنهج المتفرد الذي اجترحه في دراستها، من خلال كتاباته المتعددة التي استهلها بكتابه الأخلاق المسيحية.

وتنبثق عن دراسة الفاروقي للمسيحية واليهودية رسالته في الحوار الديني، فكان أبرز المتحدثين باسم الإسلام في الحوارات الدينية التي عقدت على أرفع المستويات، سواءً في مجلس الكنائس العالمي أو الفاتيكان، ومما لا شك فيه أنَّ الارتقاء إلى هذه المنزلة كان يتطلب جهداً ومقدرة قلَّ نظيرُها. ويعرِّج البحث إلى تناول تفرد الفاروقي في وضع أسس الحوار، انطلاقاً من ريادته في فلسفته

(١) دكتوراه في التاريخ من جامعة الموصل عام ١٩٩٩م، أستاذ التاريخ المساعد في قسم التاريخ كلية الآداب. جامعة الموصل، العراق، البريد الإلكتروني: orientalism1999@yahoo.com.

(٢) يزجي الباحث خالص شكره وعرفانه: أولاً لأستاذه الدكتور جزيل الجومرد، الذي وضع بين يديه قبل نحو عقدين من الزمن كتاباً للراحل الفاروقي، مع بضع ملحوظات حول استشهاده كانت بمثابة نبتة في أعماق الذاكرة استفزها هذا المؤتمر، وثانياً لطلبة الفاروقي، ممن تكرموا بإسعاف الباحث ببعض المصادر الأساسية، ومناقشة بعض أفكار بحثه معهم، وفي مقدمتهم البروفيسور جون اسبوزيتو، وفريق مركز الوليد بن طلال، ولا سيما الباحث في المركز السيد (سوراو ثابا)، وبقية مباركة من تلاميذ الراحل الفاروقي، وهما: البروفيسور امتياز يوسف من جامعة اسيومبشن في بانكوك، والبروفيسور محمد شفيق مدير مركز دراسات وحوار عبر الأديان في جامعة الناصرة في الولايات المتحدة الأميركية.

لدراسة الأديان. وفي هذه المعالجة أتينا على بعض منطلقاته في بلورة قسمات للحوار في منهجيته وشروطه وموضوعاته.

أما الشق الثاني من هذا البحث فيبنى على مقولة صينية قديمة: "إذا أردت أن تعيش أبداً فازْرَعْ رجالاً." ربما كانت هذه المقولة حية في ذهن الفاروقي، عندما جعل همَّه أن يزرع علماء مختصين في دراسة الإسلام، يكونون مع مرور الزمن امتداداً له ولفكره في مشارق الأرض ومغاربها. والمثير أن أحد أبرز من تأثَّر بالفاروقي هو تلميذه المختص الأبرز بالدراسات الإسلامية البروفيسور جون اسبوزيتو؛ أستاذ جامعة جورج تاون ومدير مركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي، فليس ثمة مبالغة بالقول: إن من أجلِّ أعمال الفاروقي –وكل أعماله رائعة ومدهشة– هو صنعه لعالم من مثل اسبوزيتو، الذي كان يدافع عن المسلمين، ويصاول كثيراً في عرض الصورة الإيجابية عنهم في مواجهة بحر متلاطم من الكراهية وسوء الفهم المقيت. لذلك يتوقف بحثنا أمام موقف اسبوزيتو من أستاذه الفاروقي، مبيناً مبلغ تأثره به ومكامن هذا التأثر. وسوف نجد أنّ الخط المتفرد الذي انتهجه الفاروقي في وضع مقررات لدراسة الإسلام في جامعة تِمْبِل، قد أثمر علماء من بينهم اسبوزيتو، فالتجربة التي قدمها له الفاروقي هي التي نقلته، حسب قوله، من شخص لا يأبه بالإسلام ولا يكاد يعرف عنه شيئاً، إلى أحد أبرز علمائه في العالم الغربي، يتدافع الناشرون لطبع كتبه وتداولها، وإلى حجة يستند إليها صناع القرار.

ولم تكن هذه الدراسة لتنجز لولا حصول الباحث على مجموعة أساسية من المصادر، في مقدمتها أبحاث الفاروقي وبعض كتبه. وهنا يسجل الباحث ملاحظة يراها على قدر من الإلحاح، ألا وهي أنه لم يتيسر له العثور على مادة قيّمة باللغة العربية. فما كتب عن الفاروقي بها، لا يكاد يُعرف؛ فهو لا يتجاوز التكرار الذي لا يسمن أو يغني، بينما جاءت أطروحة (ريتشارد فليتشر) التي قدمت إلى جامعة ماكجيل، ورسالة (داي) التي قدمت لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية،

وأطروحة محمد سامي التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة وستمنستر، لتضيء لنا جوانب الموضوع، فتقدم لنا الهيكل الذي وضعت ضمنه مادة البحث التي توزعت بين كتابات الفاروقي وكتابات تلاميذه وأصحاب مدرسته.

فمنذ نحو قرنين أو يزيد انتقلت المواجهة بين العالمين الغربي والإسلامي إلى داخل الوطن العربي، عندما نجح الفرنسيون في أواخر القرن الثامن عشر في النزول إلى البر المصري، وفرض حكومة غربية أوروبية، جاءت محملة بقيم ومفاهيم غريبة مثلت صدمة بالنسبة للمسلمين، في واحدة من أعظم معاقلهم الفكرية. هذه الصدمة كانت بداية طريق لم يعد بالإمكان الرجوع عنه إلى ما سبق، فبات على المسلم أن يبحث له عن هوية في ظل تسارع التحديات وقسوتها؛ فجاء الطهطاوي، والأفغاني، وسيد أحمد خان، ومحمد عبده، وتبعهم آخرون وخالفهم غيرهم، وتواترت الطروحات حول الآخر: ماذا نأخذ منه وماذا نترك؟ وأين يجب أن يقف النقل عنه؟ ومن أين يجدر أن يبدأ؟ وما أهمية محاورة هذا الآخر وجدواها؟ أسئلة كثيرة شغلت باحثينا طوال قرن من الزمن أو يزيد، لكن المفارقة أن عدداً كبيراً ممن أراد الانفتاح على الحوار أو رفضه، كان يفتقر إلى المقومات الأساسية، المتمثلة في معرفة هذا الآخر، وقبل ذلك معرفة الذات، وما يترتب على ذلك من إعادة معرفة الذات من خلال الآخر، ومعرفة الآخر من خلال الذات.

إنَّ المقاربة المتفردة التي قدمها الراحل الفاروقي، في مجال الحوار مع الآخر، جديرة بأن تتخذ أنموذجاً للدراسة في مجال القضية الأساسية اليوم، وهي البحث عن الأرضيات المشتركة المناسبة مع عالَم، هناك من يقوده ويغذي فيه الكراهية لنا ولديننا، ويسعى لخنق أي تفاهم بيننا وبينه. وفي المقابل فإن هذا الآخر يمتلك من المقومات المادية والعسكرية والإعلامية ما يجعله يتدخل في أدق مفاصل حياتنا اليومية، بما يهز قواعد أبنيتنا من أسسها، مسترشداً في الغالب بمشورة من لا يكترث إلا بمصالحه الخاصة، التي أثبتت الحوادث أنها على

الضد من مصلحة الآخر، بقدر ما هي على الضد من مصلحتنا. وما أمر برنارد لويس ومشورته لغزو العراق واحتلاله ببعيد. فمن الجوهري اليوم أن يكون لنا صوتُنا في الحوار، فنسعى لإثبات أهليتنا ووجودنا على الطرف المقابل مع الآخر، مستهدين بتجربة الفاروقي النادرة ومستلهمين تجربته، التي لا نبالغ إذا وصفناها بأنها تجربة أمة في فرد.

في هذه المعالجة -التي بنيت نتائجها فقط ما أتيح للباحث الحصول عليه من المواد العلمية- سوف يتم تناول مَعْلَم واحد من معالم فكر الراحل الفاروقي، ألا وهو إسهاماته في مجال الحوار مع الآخر، ونجاحه في اختراق البنية الذهنية الغربية والنظر إليها من الداخل، مع التمسك بالثوابت القيمية الإسلامية. وهي معادلة تكاد تكون عصية إلا على القليل، فغالباً ما نجد أن من اعتاد توجيه النقد للغرب إنما يفعل ذلك وهو مستظل بأفياء بلاده العربية والإسلامية، يصدر ما شاء له من أحكام، غير مكترث أن يعيش تجربة الاغتراب؛ إذ يدرس عقائد الغرب على يد علمائه، فيجادلهم في عقر دارهم، ويصاول مؤسسات جبارة تمتلك من النفوذ ما يقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً. ومن جانب آخر فإنّ كثيراً ممن آثر البقاء في الغرب، وأتيحت له الوسيلة لفهمه، نرى أن صلته بالشرق قد انبتت، فبات عاجزاً عن أن يكون ممثلاً عنه، وإذا ما فعل ذلك كان مفسداً من حيث يظن أنه يحسن صنعاً!

والأمر الثاني الذي تتوقف عنده المعالجة هو تأثير هذا التفرد في مقاربة الفاروقي على طلبته، وأبرزهم عالم الإسلاميات جون اسبوزيتو؛ مدير مركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي وصاحب الدراسات الإسلامية المتعددة؛ إذ يمكن القول: إن اسبوزيتو قد تمثّل قيم أستاذه الفاروقي ومفاهيمه، ولاسيما في التعامل مع مادة بحثه بحس من التفهم والتعاطف. وقدّم بدوره موقفاً شجاعاً واستثنائياً في مواجهة حملات العداء المنظمة والمتواصلة، التي تغصُّ بها سماء الفكر الغربي المعاصر تجاه الإسلام وقيمه وتطلعات أهله. فكان الالتقاء أنموذجياً بين رجلين اقتحما حواجز شائكة في الانفتاح على الآخر

وفهمه، ومن ثم تفسيره والانتقال لتفسير الذات والبحث في العناصر المشتركة، التي بإمكانها أن تمهد لقيام أرضية مشتركة، تصلح منطلقاً يقوم عليه الحوار.

أولاً: عرض موجز لسيرة الفاروقي

لا بدّ، ونحن نتناول تجربة الفاروقي المتفردة في الحوار مع الآخر، أن نتوقف أمام الملامح العامة لسيرته، ومحطات تشكُّل فكره تجاه الذات والآخر؛ فمن خلال استعراض سيرته، يمكن للمرء أن يشخّص محطات تطوره الفكري، التي سارت بخطى متصاعدة، وفق ذهن متحرك غني، وهِمّة عالية، قلَّما نجد من يناظرها في تصديها للتحديات، مضيفاً على حياته طابع اللطف والابتسامة والدماثة، التي أكسبته تقدير الآخرين، حتى الذين يخالفونه في توجهاته الفكرية والدينية.(١)

ولد إسماعيل راجي الفاروقي في يافا في فلسطين في عام ١٩٢١م. درس على يد والده (أبو الهدى) الفاروقي الذي كان قاضيا شرعياً،(٢) فتأسس على الإيمان العميق بالإسلام، ثم درس في مدرسة الفرير الدومينيكان الفرنسية حتى عام ١٩٣٦م، وفيها اكتسب المعرفة المبكرة بالمسيحية الكاثوليكية، وكان ذلك قاعدة متينة أصبحت أساساً لتوجهه للتخصص بالمسيحية وقيمها الدينية والأخلاقية، وبنت فيه دراية عميقة باللغة الفرنسية.(٣) وانتقل بعدها إلى الجامعة الأمريكية، فدرس الفلسفة، وأصبحت مجال تخصصه وتحديداً فلسفة الأديان. كما أجاد اللغة الإنجليزية إجادة ممتازة، ووعي عن كثب أسس النظام التعليمي

---

(١) يقول عنه (فروست) عميد كلية الأديان في جامعة ماكجيل، التي عمل فيها الفاروقي لمدة عامين بين ١٩٥٩-١٩٦١: "عندما أنظر القهقرى إلى هاتين السنتين [اللتين أمضاهما الفاروقي في ماكجيل] تبدو بمثابة مناقشات طويلة ومثيرة بصورة متواصلة للذهن، تعلمنا خلالها أنا وزملائي أن نحترم الفاروقي مجادلاً شرساً، وزميلاً ملهماً، وصديقاً حميماً. انظر:

– Al-Faruqi, Ismail Ragi. *Christian Ethics: A Historical and Systematic Analysis of its Dominant Ideas*. Montreal: McGill University Press, 1967, p. IV.

(2) Fletcher, Charles D. *Ismail Al-Faruqi (1921-1986) and Interfaith Dialogue*, Unpublished PhD. Thesis, University of McGill, 2008, p. 15.

(3) Ibid. , p. 16.

الأكاديمي في الولايات المتحدة، مما سيجعله يختار لاحقاً التوجه إلى الولايات المتحدة لإكمال دراسته،[١] بعد أن وُئد طموحه في مهده بأداء دور سياسي لامع في بلده فلسطين، بدأ مع عودة الفاروقي إلى فلسطين عام ١٩٤١م؛ إذ عمل مُسجِّلاً في الجمعيات التعاونية العربية، ثم عُيِّن في عام ١٩٤٥م حاكماً للجليل.[٢] وممارسته العمل الإداري بعد عودته إلى فلسطين سواء في الجمعيات التعاونية، أو إدارته لإقليم الجليل تؤكد قدرته على الإدارة والتنظيم والحزم، بما جعله لاحقاً مؤهلاً لإدارة المؤسسات الإسلامية والتعليمية في الولايات المتحدة، وفي سواها من البلدان، فلم يكن أبداً ذلك الأكاديمي الذي يتموضع خلف أسوار المؤسسات الأكاديمية.

ثم جاء التقسيم والحرب العربية الإسرائيلية الأولى، فبقي على إدارة الإقليم تحت قيادة جيش الإنقاذ الفلسطيني، واشترك بنفسه في المقاومة،[٣] فكانت تلك أيضاً تجربة زرعت في نفسه القدرة على المجابهة ورفض الخنوع، فكان -حتى في أروقة المؤسسات الأكاديمية- مجادلاً صلباً، مما حدا ببعضهم إلى تسميته بـ(بروفيسور حرب العصابات).[٤] لكنه عندما رأى تشتت المجاهدين، وفشل الجيوش العربية، وعجز الذات العربية عن مجابهة التحدي، ترك هذا اللون من المقاومة ساخطاً، ليرتحل مع أسرته إلى لبنان، وليتعرف على طعم التشتت المر، وليعيش كما عاش الآلاف من أبناء بلده دون وطن.[٥]

(1) Esposito, John L."Ismail Al-Faruqi: Pioneer in Muslim-Christian relations," in John L. Esposito and John O. Voll, (eds.) *Makers of Contemporary Islam*. New York: Oxford University Press, 2001, p. 23.

(2) Ba-Yunus, Ilyas."Al-Faruqi and beyond:Future Directions in the Islamization of Knowledge" *The American Journal of Islamic Social Science*,1988 ,No. 1 , p. 13

(3) Fletcher. *Ismail Al-Faruqi*…, p. 17.

(٤) (Guerilla Professor) هذا التعبير سجله المفكر الباكستاني فضل الرحمن على لسان زملاء الفاروقي في جامعة شيكاغو. نقلاً عن أطروحة إيريك ر.داي

- Dye, Eric R. *The Apologetic Methods of Ismail R. Al-faruqi and Cornelius Van Till*, (Unpublished MA. Dissertation Submitted to SOAS ,2000) p. 9

(5) Esposito. Ismail ,p. 23.

وردّاً على العجز الذي تجلى له في المجابهة العسكرية، رأى أن فاعلية دوره وردّه الحقيقي يتمثل في أن يخوض حربه الخاصة به من أجل دينه وأرضه وهويته، فارتحل إلى الولايات المتحدة وانخرط في الدراسة الأكاديمية.

بدأ أوّلاً مع جامعة إنديانا، فنجح في نحو عام من الزمن (١٩٤٨-١٩٤٩م) في الحصول على الماجستير في الفلسفة الغربية برسالة عن الأخلاق المسيحية، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنه لم يَسِر على منوال كثير من المتخصصين في الدراسات العربية والإسلامية، أو الدراسات العلمية البحتة، وإنَّما اتجه إلى تخصص يندر أن يسلكه باحث عربي أو إسلامي. وتوجّه بعد ذلك إلى جامعة هارفارد للحصول على شهادة أخرى، فسجّل في جامعة هارفارد ليدرس الفلسفة،[١] لكنه جوبه بمصاعب مادية أعجزته عن مواصلة الدراسة لبعض الوقت، فعمل في مجالين: الأول الترجمة إلى الإنجليزية؛ إذ ترجم عدداً من الكتب لفائدة المجلس الأميركي للجمعيات العلمية،[٢] فضلاً عن عمله في مجال البناء والإنشاءات. ويشير (فلتشر) إلى أن الفاروقي ما أنْ جمع ما يكفيه من المال لمواصلة الدراسة، حتى عاد إلى جامعة إنديانا، ليحصل على الدكتوراه كذلك في الفلسفة الأخلاقية الغربية التي نالها عام ١٩٥٢م.[٣] بينما تذكر مصادر أخرى أنه كان قد حصل على ماجستير ثانية من هارفارد عام ١٩٥١م في الفلسفة الدينية

---

(1) Fletcher. *Ismail Al-Faruqi*… , p. 17-18.

(٢) الكتب التي قام بترجمتها هي ثلاثة كتب هي: "من هنا نبدأ" للمؤلف خالد محمد خالد، و"كتاب سياسة الغد" للمؤلف مريت غالي، وكتاب "من هنا نعلم" للشيخ محمد الغزالي. وقد جاء اختيار هذه الكتب من قبل المجلس الاميركي للجمعيات العلمية وصدرت عام١٩٥٣. وقد اثنى المستشرق المعروف فرانز روزنثال على أسلوب الفاروقي في الترجمة واجتهاده في استنباط المفردات البديلة للمصطلحات الشرعية الإسلامية.

(٣) كان عنوان الأطروحة (تبرير الخير: الأبعاد الميتافيزيقية والابستمولوجية للقيم)مستنداً فيها إلى المنهج الفينومينولوجي.

Anon. Ismail Al-Faruqi , *http://en. wikipedia. org/wiki/Ismail_al-Faruqi.*

الغربية.[1] ومما لا شك فيه أن ذلك يُعبِّر عن أهلية غير تقليدية، في أن ينجز باحث عربي مسلم في غضون أربع سنوات رسالتي ماجستير وأطروحة دكتوراه في أرقى الجامعات الأميركية، في تخصص يتسم بالصعوبة البالغة، لا سيما لشخص ينتمي لدين وفلسفة مغايرة.

ويبدو أن الفاروقي قد أدرك أنه مضى عميقاً في دراسة الفلسفة المسيحية الغربية، فاستبدّ به القلق من الابتعاد عن جذوره العربية الإسلامية، ويقول هو في هذا الشأن: "بعد حصولي على الدكتوراه في الفلسفة الغربية، أصبحت مدركاً لحالة الجهالة والابتعاد عن التراث الإسلامي، لذلك عدت القهقرى، ودخلت جامعة الأزهر لأتعلم من جديد، ولكن وفق برنامج خاص سريع جداً ومكثف، كما لو كنت أُعِدُّ دكتوراه أخرى في ثلاث سنوات."[2]

وكان وجوده في مصر فرصة ثمينة له لإعادة بناء الجانب الإسلامي في شخصيته، فهذا تلميذه جون اسبوزيتو يقول: "في هذه المرحلة كان الفاروقي يرى نفسه وريثاً عربياً للتحديث الإسلامي والفلسفة الإمبريقية الغربية، مشدداً على أن الإسلام هو خير الأديان."[3]

وقد تزامن وجود الفاروقي مع صعود الفكرة الناصرية، فوجد فيها النموذج الذي يمكن أن يعيد له وطنَه وهويته التي افتقدها بمغادرته فلسطين، فسعى لإغناء الفكر العروبي بالبُعد الفلسفي،[4] فقدّم سلسلة محاضرات في معهد الدراسات والبحوث العربية التابع للجامعة العربية، طبعت لاحقاً في كتاب

(1) Rashid, Zuriati Bt Mohd and Other ," Al–Faruqi and his View in Comparative Religion" *International Journal of Business and Social Science* , *Vol. 1 No. 1; October 2010* ,p. 1.

(2) Fletcher , *Ismail Al–Faruqi…* p. 17

(3) Esposito."Al–Faruqi…" p. 26.

(٤) رسالة للباحث من الدكتور محمد شفيق مدير مركز دراسات وحوار عبر الأديان في جامعة الناصرة في الولايات المتحدة، وصاحب أبرز السير التي كتبت عن الفاروقي بعنوان: إسماعيل الفاروقي: تطور الفكر الإسلامي في أميركا الشمالية

بعنوان (العروبة والإسلام)،[١] حاول فيها أن يعطي للعروبة مكانة تستوعب المسلمين من غير العرب، والعرب من غير المسلمين، لا بل إنه سعى للعودة إلى التاريخ وإضفاء صفة العروبة على كل من سكن الجزيرة العربية وأطرافها منذ أقدم العصور. فقد رأى أن فكرة العروبة هي الحاضنة التي تستطيع أن تصنع أرضية مشتركة للتفاهم مع أبناء الأديان التوحيدية الأخرى من نصارى ويهود أو من المسلمين.[٢]

وفي عام ١٩٥٨م حصل على منحة في جامعة (ماكجيل) الكندية، للالتحاق بمعهد الدراسات الإسلامية، الذي كان من المؤسسات الغربية المتقدمة، وكان يديره المستشرق اللامع والمتخصص البارز بالحوار الإسلامي المسيحي (ويلفرد كانتويل سمث).[٣] وكان استدعاء الفاروقي للمركز بهدف تثوير المعرفة بالإسلام من قبل مُسلم جمع بين التكوين الأكاديمي الغربي في مجال فلسفة الأديان، والإيمان الديني والخلفية الإسلامية التي عمقتها دراسته في الأزهر.[٤]

وفي (ماكجيل) كان التحدي الجديد، فالمركز يتبع كلية الأديان، لذلك وجد الفاروقي أن من الأجدى أن يتعمق في فهم الديانتين المسيحية واليهودية، وكان ثمرة ذلك كتابه الشهير عن الأخلاق المسيحية، الذي كان عملاً متفرداً، جادل فيه أستاذٌ مسلمٌ علماءَ لاهوت نصارى في صميم معتقدهم الديني، مؤسساً فيه لخطِّه المتفرد في دراسة الدين المسيحي. وقد وصف (هنريك كريمر) كتاب الفاروقي بأنه: "يمثل ظاهرة في الأدب الديني الإسلامي الحديث."[٥] بينما كان ردّ الفاروقي بأنه لم يكتب هذا الكتاب من وجهة نظر نقدية إسلامية وإنما

(1) Siddiqui, Ataullah."Ismail Raji Al-faruqi: From Uruba to Ummatic Concerns "*The American Journal of the Islamic Social Science* , Vol. 16 No. 3,1999,p. 1.

(2) Fletcher. *Ismail Al-Faruqi …* p. 19.

(3) Ibid., p. 19.

(4) Ibid., p. 19.

(٥) نقلا عن إيريك داي Dye. *The Apologetic…* p 9.

إنسانية، وأنه اتخذ موقفاً موضوعياً وغير متحيز ألبتة في حكمه على المسيحية.[١]

وبعد انتهاء العام، وقرب المنحة المتاحة له من النفاد، رتّب له (سمث) منحةً جديدة لعامين قادمين استكمل فيهما إعداد كتابه للنشر، وطوّر فيهما معرفته بالمسيحية واليهودية، واختبر قدرته على الجدل الديني مع علماء الديانتين في (ماكجيل). وقُدِّر أن يتزامن وجود الفاروقي في الجامعة مع وجود عالم مسلم آخر هو فضل الرحمن، الذي رافق الفاروقي، وتتبّع سيرته في هذه المرحلة عن كثب، وكتب عنه لاحقاً يصف سنيه في (ماكجيل)، ومما ذكره عنه أنه كان شاباً متحمساً للعروبة وفلسطين.[٢] ويبدو أن فضل الرحمن قد وجد، حسب قوله، الفرصة سانحة لتثبيط مفهوم العروبة عند الفاروقي عندما عرض عليه الالتحاق بمعهد الدراسات الإسلامية المركزي في باكستان، مستهدفاً أن يطلعه على جهود المسلمين من غير العرب.[٣] وقد لبّى الفاروقي الدعوة؛ لأنه وجدها فرصة سانحة لتطبيق فلسفته على الدين، وبصورة أدق لتطبيق الفلسفة العلمانية الحديثة على الإسلام، ليكون، وفقاً لقول زميله إلياس بايونس "للفلسطيني الجريح سلاح جديد يبدأ به مرحلة من المجابهة الفكرية مع الغرب،"[٤] من خلال التأسيس لمناهج ومقررات علمية جديدة على أرض إسلامية، لا سيما وأن رئيس باكستان أيوب خان آنذاك هو من دعا فضل الرحمن شخصياً لإدارة المعهد، وترك له الصلاحيات الواسعة لدراسة إمكانية إضفاء الصفة الإسلامية على دولة باكستان، من خلال البحث الأكاديمي.[٥] وقد سعى الفاروقي بكل همَّة وجدية للنهوض بهذه المهمة، فبدأ يخطط للفكرة التي كانت في طور التبلور في

---

(1) Al-Faruqi ,*Christian Ethics…* ,p. 32.

(2) Anon., Ismail Al-Faruqi ,*Wikipedia*.

(٣) رسالة الدكتور محمد شفيق، مرجع سابق.

(4) Ba-Yunus, "Al-Faruqi…", p. 13.

(٥) رسالة الدكتور محمد شفيق، مرجع سابق.

ذهنه، حول ردم الهوة بين الإسلام والعلم الحديث، من خلال أسلمة المعارف والعلوم. لكن، يبدو أن الانسجام بينه وبين فضل الرحمن قد بدأ يضعف، لا سيما بعد أن أدرك الرجلان أن الخطط التي اقترحاها لتحقيق الأهداف كانت غير ممكنة التحقيق، فأدرك الفاروقي أوّلاً أن الأجدر أن يقول كلمته الأخيرة ثم ينسحب، فغادر باكستان عام ١٩٦٣ إلى الولايات المتحدة، وتبعه بعد ذلك فضل الرحمن ببضع سنوات.[١]

وحصل الفاروقي في العام التالي على فرصة للتدريس في جامعة شيكاغو لمدة عام. وانتقل بعدها لجامعة (سيراكوز) في نيويورك أستاذاً مشاركاً في قسم الأديان، فوضع مقررات برنامج خاص بالدراسات الإسلامية، لكن هذا المقرر ارتبط باسم الفاروقي، فتوقف بمجرد مغادرته عام ١٩٦٨م.[٢] وكان سبب مغادرته لهذه الجامعة أنه قد تلقى عرضاً من جامعة (تِمْبِل) في فيلادلفيا؛ لإنشاء مقرر دراسي للدين الإسلامي ضمن قسم الأديان، يتولى بموجبه الفاروقي كرسي الأستاذية فيه.

وفي تلك الأثناء جاءت الانعطافة الأخطر في فكر الفاروقي، التي وجَّهت فكرَه وجهده، من خلال اتصاله باتحاد الطلبة المسلمين، وانفتاحه على نشاطاتهم. وفي هذا الشأن يستذكر بايونس رئيس الرابطة آنذاك ما جرى؛ إذ يقول: "في عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م انتقل الفاروقي إلى فيلادلفيا للانضمام إلى قسم الدين في جامعة (تمبل)، وكان لاتحاد الطلبة المسلمين حضور قوي في (تمبل)، وفي جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا، وجامعة ولاية بنسلفانيا، وكان من المحتم اللقاء بين الفاروقي والطلبة، ولا سيما في صلاة الجمعة، التي كان يقيمها الطلبة المسلمون في الحرم الجامعي، وكان هذا اللقاء زاخراً بالدلالات؛ الأمر الذي

---

(١) المرجع السابق.

(2) Fletcher. *Ismai Al-Faruqi*… , p. 21-22.

أحدث تحولاً خطيراً لدى الفاروقي."[1] وقد وصف الفاروقي نفسه هذا التحول بقوله: "قبل بضعة أشهر (والكلام يعود لعام ١٩٦٨م) كنت فلسطينياً وعربياً ومسلماً، والآن أنا مسلم قدر لي أن أكون عربياً من فلسطين."[2]

ويعلِّل (فليتشر) هذا التحول إلى ارتباط الفاروقي باتحاد الطلبة المسلمين، الذي كان قد تأسس في جامعة (إلينوي) عام ١٩٦٣م، وقد أعجب الفاروقي بتكريس فكرة الإسلام في سلوك أعضائه، فارتبط به ارتباطا وثيقاً، وأصبح من أبرز زعمائه، فهو الذي بدّل فكرته حول كيفية تدريب الطلبة المسلمين في الغرب وتأهيلهم. وانطلق منها إلى رؤيته الرحيبة حول الإسلام بوصفه مكوناً شاملاً، يمكن أن يستوعب أبناء الديانات التوحيدية الأخرى، وليس فقط المسلمين (عرباً كانوا أو غير عرب).[3] واكتسب الفاروقي مكانة سامقة في الفكر الإسلامي المعاصر، فهو لم يعد بحاجة ليكون فلسطينياً عربياً مسلماً، يشق طريقه في الغرب لكي يُحدِث التغيير، لكن وجد نفسه الآن مسلماً من أمة مسلمة تمتد بامتداد العالم. لقد اكتشف هويته ووجهة عمله المستقبلي الصحيحة في مجال مخاطبة المسلمين في العالم الغربي، والانطلاق لمحاورة أبناء الديانات الأخرى؛ لتحديد طبيعة العلاقة التي تربط بينهم وبين الإسلام. وكانت سنواته المتبقية على وجه الأرض، سنوات عمل وكفاح شاق، سابق فيها الزمن، فلم يعتره الفتور أو اليأس، وإنما كان مندفعاً بكل ما أوتي من قوة وتصميم صوب هدفه.

ثانياً: الفاروقي وحوار الأديان

يعد الفاروقي أنموذجاً عربياً وإسلامياً متفرداً في دراسة الآخر، ليس في مجال الفكر النظري فحسب، بل في التحاور المباشر معه كذلك، وفي صياغة

(1) Ba-yunus,"Al-Faruqi…" , p. 14.

(2) Ibid., p14.

(3) Fletcher. *Ismail Al-Faruqi…*, p. 26.

المفاهيم عنه. فكان طوال الستينات والسبعينات من أشهر الممثلين المسلمين في الغرب في الحوار مع الفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي وغيرها من المؤسسات المسيحية.[٤] وكان القوة المحركة وراء التهيئة لكثير من الحوارات مع النصارى واليهود. ومما لا شك فيه أن ارتقاءه لهذه المنزلة يستلزم مرحلة إعداد شاقة، يسبقها استعداد ذاتي وشخصية ذات قسمات خاصة.

فعلى مستوى الإعداد، سبق القول بأن دراسته المبكرة في مدرسة (الفرير الدومنيكان) قد جعلته على تماس مبكر ومباشر مع المسيحية، وعندما ذهب إلى الولايات المتحدة اختار أن يتخصص بالفلسفة الغربية وارتباطاتها بالمسيحية. ثم جاءت سنوات عمله في (ماكجيل) ضمن كلية الإلهيات لترسّخ معرفته بالمسيحية.[٥] وكانت أولى الثمرات التي عبّرت عن عمق درايته المسيحية كتابه (الأخلاق المسيحية)، الذي تأخر نشره عدة سنوات، كما وصفها رفيقه في المعهد الدكتور هشام الطالب؛ لأن القساوسة ترددوا في نشر الكتاب بعد الانتهاء منه قائلين "بأن أي مسيحي مهما غزر علمه، لا بدّ أن يشعر عندما يقرأ الكتاب أن الأسس الدينية للعقيدة المسيحية توضع في موضع الاختبار في أعماق نفسه، ويمسي التحدي طاغياً داخل فكره، وقلَّما ينجو أحد من هذه الهِزَّة التي تقتلع الجذور وتطيح بالكيان."[٦] ومن الجدير بالذِّكر أن عميد كلية الإلهيات التي نشرت الكتاب، قرر أن يكتب مقدمة مطولة يسوّغ فيها تبني الكلية لنشره. ويرى الدكتور محمد شفيق أن هذا الكتاب وراء ترك الفاروقي لماكجيل.[٧] لكن

(4) Esposito."Ismail… " , p. 33.

(5) Fletcher. *Ismail Al-Faruqi…* , P. 4.

(٦) تقديم الدكتور هشام الطالب لكتاب: أطلس الحضارة الإسلامية. انظر:
- الفاروقي، إسماعيل راجي، ولوس لمياء. **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م، ص١٥.

(٧) رسالة الدكتور محمد شفيق، مرجع سابق.

الفاروقي لم يضعفه هذا الموقف فدفع للنشر في دورية كنسية بحثه في طبيعة التاريخ للأديان،[١] منتقداً المناهج القائمة، فتصدى له أكثر من كاتب غربي، ودارت سلسلة من المجادلات بينه وبين نقاده، فقد ردَّ عليه البرفيسور (برنارد ميلاند) من جامعة شيكاغو، على صفحات الدورية نفسها.[٢] فبدأ بسلسلة الجدل الديني، ليرتقي في نظر الكثيرين، وليغدو المتحدث الأبرز عن الإسلام في العالم الغربي.

وقد تواصلت جهود الفاروقي في التأليف، سواء في الفكر المسيحي واليهودي، أو في مجال الحوار الإسلامي مع أتباع هاتين الديانتين. ويمكن التوقف أمام أحد النماذج، التي تبرز وجهة نظر الفاروقي بشأن الحوار الديني، متمثل في بحثه (الإسلام والمسيحية: حوار أم سجال)، الذي نشر عام ١٩٦٨م في مجلة الدراسات المسكونية. وكان بمثابة محاولة مبكرة، لكنها تتسم بالعمق والنضج والشجاعة وقوة الحجة.[٣]

يبدأ الفاروقي بحثه بإدانة النمط التقليدي المسيحي للتعاطي مع الإسلام، والمتمثل في الجهود التي بذلها المبشرون الغربيون لتحويل المسلمين عن دينهم، ولجوئهم –حسب قوله– إلى كل الوسائل المدانة لتحقيق هذا الهدف، من تزوير الحقائق وممارسة القهر السياسي والاقتصادي،[٤] منبّهاً إلى أن الهدف التنصيري لا يزال قائماً، وإن اختلفت وسائله، فقد حلَّ الخبير الاقتصادي والصناعي محل العسكري والطبيب والمدرس.[٥] ويسجل بأن الخطاب التبشيري لم يتبدل؛

(1) Al-Faruqi, Ismail." History of Religions: Its Nature and Significance for Christian Education and the Muslim-Christian Dialogue," *Numen: International Review for the History of Religions*, vol. XII, fasc. 2, 1965,pp. 81-86.

(2) Meland, Bernard."In Response to Dr. Faruqi."*Numen*: *International Review for the History of Religions*", vol. XII, Fasc. 2. Apr. , 1965) pp. 87-95.

(3) Al-Faruqi, Ismail."Islam and Christianity: Diatribe or Dialogue. *Journal of Ecumenical Studies*, vol. V, no. 1, 1968, pp. 45-77.

(4) Ibid., p. 45.

(5) Ibid., p. 53.

إذ بقي طابع الاستعلاء والادعاء مع غياب التعاطف، فالعالم الغربي لا يعرف مسيحياً تحرّكه موعظة الجبل يأتي للعيش بين المسلمين مواطناً، فيجعل عبئهم عبئه وآمالهم وتطلعاتهم آماله وتطلعاته.[١]

ويخلص إلى نتيجة نهائية مفادها:

"إن الفصل المتعلق بتاريخ التبشير المسيحي، كما عَرفنَاه حتى الآن، من الأفضل أن يُقفل، وتُلغى عملية اقتناص المسلمين، وينسحب المبشّرون، ينسحبون وتتم عملية إزالة الذراع التبشيري للكنيسةِ الكاثوليكيةِ والمجلسِ العالميِ للكنائس."[٢]

لكن هل يفهم من كلام الفاروقي أنه يدعو إلى العزلة بين الإسلام الغرب؟ بالتاكيد لا، لأنه يسجل بأن العزلة غير ممكنة، فالعالم صغير جداً، ووجودنا على هذا الكوكب مرتبط بتعاوننا، لكن للتعاون شروطَه التي يحددها الفاروقي في: الاحترام، والتعاون الفعال، والاتفاق على الأهداف والأغراض والمعايير، وعلى أرضية مشتركة في مجال الإيمان الديني.[٣]

لكن كيف يمكن تحقيق هذا التوَّحُد بالأهداف والمعايير، لا سيما في المجال الديني، إذا كان كل طرف، وأي طرف على قناعة باحتكاره للحقيقة الدينية وتخطئته للآخرين؟ وفي ظل ذلك يصعب على رجل الدين أن يتجنب، وهو مقتنع كلياً بصدقية و(حصرية) الحقيقة التي يمتلكها، من أن يبدي موقفه من أصحاب الأديان الأخرى. إنّ رجلَ الدينِ، على أية حال، أخلاقيٌ؛ وفي كلتا الديانتين: المسيحيةِ والإسلام، لذا فهو رجل من الدرجة الأولى. هو يَجِبُ أَنْ يَخْرجَ إلى العالَم، يُعلّمُ الحقيقةَ التي علمته إياها تجربتُه الدينية. وفي ضوء هذه العمليةِ أن يَدْحضَ الادّعاءاتَ المعاكسة.[٤]

---

(1) Ibid., p. 53.

(2) Ibid., p. 54.

(3) Ibid., p. 54.

(4) Ibid., p. 55.

إذن كيف هو السبيل، إذا كانت تجربة التنصير التقليدية مرفوضة ومدانة بنظر الفاروقي؟

البديل، كما يرى، يتمثل في الحوار الذي يراه بمثابة ثقافة هي الأنبل والأرحب، وهو الخضوع للحقيقةِ، التي إذا اصبحَت معروفةً، ينبغي أن تستعرض وتقابل ادعاءاتِ الآخرين، فتقرَّ بها إذا صدقت، وتعدَّلَ إذا اتسمت بالنقص، وترفضَ إذا كانت خاطئة. فالحوار هو "إزالةُ كُلّ الموانع بين الناس من أجل حرية تبادل الأفكار؛ إذ إنَّ الأولوية المطلقة تَرْك الإدّعاء الصحيح بالحقيقة يفوز. والحوار يُهذب وَعْينا من أجل معْرِفة الحقيقةِ! وأشهد (والقولَ للفاروقي) بأن الإسلام، والمسيحية، كذلك، ما لم تخدعني قراءتي، يجعلان الحوار جوهرَ اعتقادهما، ومجال توحدهما النهائي بوصفهما دين الله، دين الحقيقة."[1]

لكنّ للحوار شروطاً ومنهجاً ومداخل يحددها الفاروقي بصورة فلسفية ومنطقية؛ فبالنسبة للشروط فهي تتمثل في الأمور الآتية:

١- يجب أن يكون الحوار متكافئاً؛ إذ يجب أن لا يتحدث أحد الأطراف المتحاورة بمرجعية لا يطالها النقد.

٢- يجب أن يكون هدف الحوار الوصول إلى نتيجة نهائية، وهو يقرُّ بطرح الفكرة ونقيضها، لكنَّه يجب أن لا يمضي في طريق لا نهاية لها من الأحجيات.

٣- يجب أن يستند الحوار إلى بحث تاريخي نقدي حقيقي، يقود إلى البِناء الفعلي للماضي بالاستناد إلى الأدلة التاريخية.

٤- الحقيقة قائمة لا جدال فيها، وهدف الحوار تعزيز قناعتنا أو تفنيدها، عن طريق اكتشاف الحقيقة.

---

(١) .Ibid., p. 55

openkan.com

٥- يجب أن لا تقف الصياغات والتفسيرات الدينية أمام الحوار، فإذا كانت هناك ثوابت دينية مطلقة، فإن تفسير هذه الثوابت والبناء عليها يتخذ صيغاً مختلفة.[1]

والأولوية في الحوار، بالنسبة للفاروقي، يجب أن تكون للأسئلة الأخلاقية، وليس للأسئلة اللاهوتية، فالحوار على مستوى اللاهوت تفسِدهُ الاختلافات الجذرية في التفسيرات الدينية، فلا يمكن تحقيق تقدم فيه من دون عمل تمهيدي في الحقول الأخرى. ولأنه من المستحيل -على حد قوله- على أية حال لهذا الجيلِ مِن المسلمين والمسيحيين أن يجادل أحدهما الآخر بخصوص كُلّ مظاهر عقائدِهم في الحال، فاختيار مثل هذا ضروري. فالأولويةُ يجب أن تعود إلى تلك السماتِ التي تمس حياتنا مباشرة كما نَعِيشُها في عالَم أصبح صغيراً جداً، ولا يزال يصغر أكثر فأكثر!

موضوعات الحوار:

استناداً إلى ما سبق، يرى الفاروقي أن الحوار الديني يجب أن ينطلق من أرضية مشتركة، وتتمثل هذه الأرضية في المسائل الأخلاقية، التي حددها بثلاثة منطلقات هي:

أ- يجب أن يعد المسلمون والمسيحيون المعاصرون أنفسهم أبرياء، بغض النظر عما اشتمله الماضي من مواقف وأفكار، فالإنسان يجب أن ينظر إلى وجوده على الأرض بأنه خيِّر، سواء بالنسبة لذاته أو لمجتمعه أو للكون؛ فهو المخلوق الوحيد صاحب الإدراك والروح، الذي نزل إليه وحده أمر الله، وعليه تعتمد إرادة الله على الأرض، لتحقيقِ إرادته فيها، وهو بدوره الكمال الأخلاقي.

ب- المسلم والمسيحي المعاصر يدركان بالفعل ضرورة وأهمية الإقرار بمشيئة الله وطاعة أوامره، فهذا الإقرار هو جوهر الوجود.

(1) Ibid., pp. 60-62.

Openkan.com

ت- يجب أن يدرك المسلم والمسيحي المعاصر بأن النداء والمهمة الأخلاقية للإنسان على الأرض لم تكتمل، وأن تحقيقها واجبه الأخلاقي الأول، وأن كل إنسان ملزم فقط بما يقوم به شخصياً من أفعال، والناس جميعا على قدم المساواة أمام الله.[1]

وقد تواصل الفاروقي في مسعاه لبلورة موقف إسلامي متفرد من موضوع الحوار؛ إذ تبدّى لنا أنه يتبنى منهجاً قرآنياً صُلباً استمده من رحابة هذا الدين وسلامة منطقه، بوصفه دين الفطرة. ودعا أبناء الديانات التوحيدية الأخرى للعودة إلى المنبع الأصلي للدين السماوي، ألا وهو التوحيد النقي، هذا الأمر الذي شغله، وجعله يكرس له كتابه المهم: "التوحيد؛ مضامينه على الفكر والحياة" الذي طوّر فيه نظريته عن دين الفطرة، أو ما أطلق عليه بالإنجليزية Meta-Religion، لينقلها من بُعدها الفلسفي إلى بُعد قرآني سماوي.

ثالثاً: جون اسبوزيو وتراث الفاروقي

إذا كان الشهيد الفاروقي قد غادر الحياة في عام ١٩٨٦م؛ أي قبل نحو ربع قرن من الزمن، فإنَّ آثاره لا تزال حية، سواءً بالنتاج الفكري الغزير، الذي خلَّفه، أو بالمؤسسات التي قام بدور كبير في إنشائها أو في تطويرها. لكن تاثيره الأهم قد تمثل بتلك النخبة اللامعة من الطلاب الذين أخذ بيدهم في مجالات الفكر الإسلامي، وبثّ في نفوسهم، قبل كل شئ، روحَ العمل والدأب والهمة العالية. ويقفز إلى الصفوف الأولى بين تلاميذ الفاروقي المتأثرين بشخصه وفكره والمخلصين لتراثه، المتخصص الأبرز بالدراسات الإسلامية، البروفيسور "جون اسبوزيتو" أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة جورج تاون، ومدير مركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي، الذي يُنظر إليه من عدد غير قليل،

(1) Ibid., pp. 62-64.

obeikan.com

على أنه المرجع الأبرز -الآن- في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يُعتمد عليه في الحديث عن الإسلام.[١] وتجلّى ذلك من خلال نحو ٣٥ كتاباً ألّفها أو حرّرها، تمحورت كلها حول الإسلام وتاريخه، ومكانته في العالم المعاصر، وآفاقه المستقبلية. ويُعاد طبع هذه الكتب بصورة متواصلة.[٢] وقد توج ذلك بنيله لقب (أستاذ جامعة) منذ عام ٢٠٠٠م في جامعة جورج تاون، وهي أرفع درجة أكاديمية ينالها باحث جامعي، كما أن المركز الذي أسّسه قد أصبح من ألمع المؤسسات البحثية في الولايات المتحدة. وكان رئيساً لرابطة المتخصصين بالدراسات الشرق أوسطية في أمريكا الشمالية، كما تمّ انتخابه ليتولى رئاسة الأكاديمية الأميركية للأديان في العام ٢٠١٢م،[٣] هذه الأكاديمية التي كان أستاذه الفاروقي يوماً أول من انتزع للإسلام اعترافاً منها، وخُصص له قسم مستقل فيها.[٤]

التطور المبكر لجون اسبوزيتو:

لم يكن الإعداد المبكر لـ(جون اسبوزيتو) ذا صلة بدراسة الإسلام، فقد ولد في نيويورك في حي (بروكلين) لأسرة بسيطة من المهاجرين الإيطاليين؛ إذ كان والده ميكانيكياً. عاش (اسبوزيتو) سنيَّه الأولى يرزح تحت تأثير الأفكار المسبقة والمغلوطة تجاه الإيطاليين، فكان بمثابة مواطن من الدرجة الثانية.[٥] ومما عمق شعوره بذلك كونه كاثوليكياً، في بلد غالبية النصارى فيه هم من البروتستانت. هذا الشعور جعله على دراية مبكرة بشعور الأقلية في مجتمع الأغلبية.[٦]

(1) Jonne Myers. Introduction, Carnegie Coucil transcript of Prof. John Esposito *http://www. carnegiecouncil. org/resources/transcripts/137. html#1.*

(2) Ibid., p. 1

(3) John L. Esposito,University professor, School of Foreign Affairs / Georgetown University *http://www. georgetown. edu/faculty/jle2*

(4) Fletcher. *Ismail Al-Faruqi…* , p. 26.

(5) Interview by Asia Sources". May 13, 2002. *http://www. asiasource. org/news/special_reports/esposito. cfm*

(6) Jaschik, Scott."Professor John Esposito: A profile."*The Muslim weekly*, 21March 2005.

أرادت له أسرته أن يلتحق بالسلك الكهنوتي، فكانت حريصة على إلزامه بالحضور إلى الكنيسة بصورة دائبة، ثم ألحقته بدير تابع لجماعة الإخوان الفرنسيسكان، فبقي فيها لمدة عشر سنوات، لكنه لم يستطع أن يجد ذاته فيه، ولم يُرَسَّم كاهناً، على الرغم من طول بقائه فيه حسب قوله،[١] فاتجه إلى دنيا العمل، ثم استهوته دراسة الأديان فدرس البوذية والهندوسية، ثم حصل على شهادة الماجستير في اللاهوت الكاثوليكي من جامعة (سان جونز)، والتحق بالتدريس في الثانوية. ثم قرر أن يواصل دراسته فالتحق بجامعة (تمبل)، في برنامج لدراسة الأديان فتواصل مع الديانات في شرق آسيا،[٢] ثم اقترح عليه عميد كلية الأديان الالتحاق بمقرر الدين الإسلامي.[٣]

كان الأمر غريبا جداً بالنسبة له، فمعلوماته عن الإسلام تكاد تكون معدومة، وهو الآن قد اقترب من نهاية عقده الثالث، وإمكانية أن يشرع في حقل لا دراية سابقة له عنه تبدو في غير محلها، إلا أن اعتذارات (اسبوزيتو) لم تجد أذناً صاغية من إدارة الكلية، وتمت إحالته إلى المتخصص بمقرر الدين الإسلامي: إسماعيل الفاروقي.[٤] وهكذا جاء اللقاء الأول مع أستاذه وملهمه. ويسجل (اسبوزيتو) طبيعة هذا اللقاء في مناسبات متعددة بصورة تفيض بالعاطفة؛ إذ غرس الفاروقي انطباعاً عميقاً في نفس تلميذه من الوهلة الأولى، لم يفارقه حتى بعد نحو أربعة عقود،[٥] عندما لم يسع للضغط عليه

(1) Snoff, Alivn."Unveiling Islam "*Washingtonian* ,January I, 2005

(2) Kreisler, Harry."Conversation With History "

(٣) ملاحظات شخصية تكرم البروفيسور جون اسبوزيتو بارسالها إلى الباحث، ولا توجد اشارة إلى نشرها سابقاً

– Esposito,John."Ismail Al–Faruqi: Memories of a Scholar and Mujahid"

(4) Ibid., p. 1

(٥) سجل (اسبوزيتو) ذلك في العدد (٢٨) صيف ٢٠١١، الذي أصدرته المجلة الأميركية للعلوم الاجتماعية الإسلامية لإحياء ذكرى المرحوم الفاروقي (المحررون)

– Esposito, "Editorial…" p. 1.

للالتحاق بالمقرر الجديد في الكلية، الذي كان الفاروقي قد أسّسه قبل نحو عام من الزمن (١٩٦٧م)، إنما تركه يختار بنفسه هذا الطريق، ثم حصل له على منحة لدراسة العربية في جامعة بنسلفانيا، وعاد بعدها ليبدأ عهداً جديداً في حياته لا يزال يعيشه حتى الآن.[١] حصل (اسبوزيتو) على الدكتوراه عام ١٩٧٤م. وكلما مضى العمر بـ(اسبوزيتو)، وارتقى في سماء الدراسات الإسلامية في الولايات المتحدة وفي العالم بمجمله، زاد وعيه بالدَّيْن العميق لأستاذه الفاروقي.

كان للفاروقي تأثيرات كبيرة على (اسبوزيتو)؛ فالفاروقي هو من فتح لـ(اسبوزيتو) باب التخصص في الدراسات الإسلامية، فلولاه، كما يقول (اسبوزيتو)، "لم أكن لأدرس الإسلام."[٢] ويجدر إيراد العبارة التي ختم بها (اسبوزيتو) تقديمه لأحد آخر كتبه، المعنون بـ: "مستقبل الإسلام"، الذي صدر في العام الماضي وفيها يقول:

"أخيراً، أنا أنتهي حيث بدأت: أخذ إسماعيل راجي الفاروقي طالباً متردداً في جامعة تمبل، أصر على أنه لن يدرس سوى كورس واحد حول الإسلام، وفتح له العالَم، فجعلني في رحلة امتدت أربعة عقود من الاكتشاف والخبرات. كانت تلك الرحلة المهنة والرسالة؛ تجاربي مع العديد من المسلمين في جميع أنحاء العالم حتى أغنت حياتي بما لا يقاس."[٣]

وعلى المستوى الشخصي يورد (اسبوزيتو) عبارة أن الفاروقي خاطب والد (اسبوزيتو) قائلاً: "إذا كنت أنت والده الرسمي، فأنا والدُه الروحي."[٤]

(1) Esposito," Memories…" p. 2.

(2) Samiei, Mohammad. Neo-Orientalism? A critical appraisal of changing Western perspectives: Bernard Lewis, John Esposito and Gilles Kepel, Unpublished PhD Thesis, Univesity of Westminster 2009, p. 115.

(3) Esposito, John. *The Future of Islam*, London: Oxford University Press, 2010.

(4) Esposito." Memories… " ,p. 1.

Openkan.com

وقد ترجم الفاروقي هذا القول على مستوى الرعاية الشخصية، فكان يستضيفه في منزله أثناء إشرافه عليه في الدكتوراه، وكان وزوجته لمياء الفاروقي سخيين في الاحتفاء بـ(اسبوزيتو) وزوجته. وما يذكره (اسبوزيتو) باعتزاز أن أستاذه كان يعامله باحترام شديد، مراعياً بدقة أن تلميذه كان أستاذاً مساعداً قد تجاوز العقد الثالث من حياته.[١]

وعلى الجانب الشخصي كذلك، يشير (اسبوزيتو) إلى أن الفاروقي قد اعتاد اصطحابه لحضور الاجتماعات التي تعقدها المؤسسات الإسلامية في الولايات المتحدة، التي كان للفاروقي الفضل في المشاركة في تأسيسها، بل تجاوز ذلك إلى دعوته لجلسات الإفطار في رمضان.[٢] وكان يشاركه في أفكاره، ويطلعه على كتاباته.

وفي مكان آخر يسجل (اسبوزيتو) أنَّ الفاروقي يعدُّ أنموذجاً نادراً في تعامل الأستاذ مع طلبته، واحترامهم ورعايتهم، فهو يقول: "الشيء الآخر الذي يجب أن أعترف به، هو الدور الذي كان هو وزوجته لمياء (لويس) فاروقي قد لعباه بمثابة الآباء والأمهات البديلات للكثيرين من طلاب الدراسات العليا. وربما في بعض الأحيان بمثابة مبعوث العناية الربانية البديل، هكذا كان إسماعيل لطلابه."[٣]

ويمضي (اسبوزيتو) إلى القول: "في كثير من الثقافات يقف الأساتذة على مسافة من طلابهم؛ العديد من الأساتذة لا يتيحون للطلبة فسحة للتعامل معهم شخصياً ومهنياً، أما إسماعيل فكان عكس ذلك تماماً، كان يحرص على استقطاب الطلبة من العالم الإسلامي، ويجهد نفسه لتوفير التمويل لمنحهم الدراسية، ويعتني بهم، ويدعوهم في كثير من الأحيان إلى منزله."[٤]

---

(1) Ibid., p5.

(2) Esposito."Editorial…", p. 4.

(3) Esposito."Memories…", p 6.

(4) Ibid., p. 6.

أما النموذج الثاني على المستوى الشخصي الذي قدمه الفاروقي لـ(اسبوزيتو)، فهو الدأب الهائل على العمل، والطاقة المذهلة على العمل والنشاط في كل الظروف، وفي مواجهة كل التحديات، وعبارات (اسبوزيتو) جديرة أن تقتبس لأهميتها البالغة:

"كان لا يعرف الكلل، وكان حزمة من الطاقة الهائلة، بدا وكأنه زوبعة لا هوادة فيها. كانت مهنتُه كذلك دعوتَه، وهو رجل يقود العلم والإيمان. كان واحداً من ذوي المهام المتعددة العظماء في زمنه: بين التأليف وإلقاء المحاضرات محلياً وعالمياً، وإدارة برنامج الدراسات الإسلامية، واستقطاب الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وإنشاء المنظمات الفكرية الإسلامية. أنت لا تعرف أبداً مكانه في أي لحظة. فهو يقفز على متن طائرة متجهة إلى عمّان وإلى كوالا لمبور، ليلقي خطاباً أو يقدِّم مشورة لمسؤول حكومي، ويكون عليه العودة إلى الولايات المتحدة في اليوم التالي، ليكون في فصله الدراسي. إن طاقته والعاطفة أيضاً جعلته يبدو لغزاً."(١)

ويسجل (اسبوزيتو) في شهادة له أخرى بهذا الشأن حول قدرة الفاروقي الفائقة على العمل والنشاط، فيقول: "في شهر رمضان الكريم كنا نتوقع أن تتوقف أو تقلص المحاضرات، إلا أننا فوجئنا بأنه قد ضاعف من نشاطه فيه، إلى حد أنه رفض حتى أخذ فترات استراحة بين المحاضرات."(٢)

أما على المستوى العلمي فيمكن تناوله على ثلاثة مستويات: أنموذج الأكاديمي والعالم المسلم المتفرد الذي ألهم (اسبوزيتو)، وجعله أوّلاً يختار أن يغير حياته للتخصص في دراسة الإسلام، فهو لا يقدم صورة نمطية للأكاديميين الغربيين، فمع أنه يمتلك الثقافة التي يتمتع بها هؤلاء من إجادة العديد من اللغات الغربية، والدراية العميقة بالحضارة الغربية، والدراسة المستغرقة للمسيحية

(1) Ibid., p7.

(2) Ibid., p. 7.

واليهودية، والتضلع الكامل بهما، بما جعله يبز علماء الديانتين ويتحدّى فهمهم لها، فإنه كان أيضاً مقاتلاً مستميتاً في دفاعه عن معتقده وقناعاته، سواء أكان الأمر متعلقاً بالإسلام، أو بقضية فلسطين، أو بالاستعمار الغربي، وهو لا يأبه إذا كان ذلك مثار نقد بعضهم، فكان يمضي في طريقه غير مبال.[1] ولعل ذلك ما وعاه (اسبوزيتو)، عندما قرر أن يشق طريقه الخاص في تفسير الإسلام، لا يضعفه أو يفت في عضده الحملات العدائية المتواصلة التي تشنها ضده الدوائر الموالية للإمبريالية والصهيونية، التي تمتلك أجنداتها التي تتقاطع كلياً مع أفكاره وقناعاته، من قبيل ما يكيله له مارتن كريمر ودانيال بايبس وبنو جلدتهم من اتهامات.[2]

أما المستوى الثاني فهو طبيعة الجو العلمي الذي شكّله الفاروقي في جامعة (تمبل) من خلال المقرر الدراسي المتفرد الذي أنشأه فيها، فيشير (اسبوزيتو) إلى أن هذا المقرر كان استثنائياً، ولا يوجد ما يناظره في الجامعات الأميركية كلها، وأن هذا المقرر الذي دخل فيه (اسبوزيتو) مكرهاً، مع قناعة بأنه سيكون فصلاً دراسياً وحيداً لن يتكرر،[3] إذا به يأخذ لبَّه فيقرِّر أن يكرِّس كلَّ ما تبقى من حياته لدراسته، فكيف حدث هذا التحول؟ وما هي ميزة المقرر الذي وضعه الفاروقي، وألهم (اسبوزيتو) والعشرات من الطلبة من مختلف المشارب، ليتخذوا من الدراسات الإسلامية حقلاً لتخصصهم؟

---

(1) Esposito."Editorial…", p. 5.

(٢) من المعروف أن (كريمر) قد ألّف كتابه: القصور العاجية على الرمال"، مستهدفاً انتقاد (اسبوزيتو) وغيره من الباحثين المنصفين، واتهامهم بكونهم السبب وراء ما حدث في أيلول عام ٢٠٠١م، بدعوى أنهم قد ضلّلوا الإدارة الأميركية عندما أشاعوا أن هناك إسلاماً معتدلاً، فخففت قبضتها، وكان أن حدث ما حدث. كما تنكب (دانيال بايبس) وزمرته للنيل من (اسبوزيتو) مراراً من خلال موقعيه على شبكة الإنترنيت Campus Watch وJihad Watch، لكن رد (اسبوزيتو) أنه لا يهتم بتصفح هذا الموقع، ولا يعرف ما فيه.

(3) Esposito." Memories… ", p. 7.

سبقت الإشارة إلى أن الفاروقي كان يمتلك رؤية إسلامية نهضوية، وكان يرنو إلى عرض هذه الرؤية من خلال المؤسسات التعليمية، لأجل ذلك رحب بالفرصة التي أتيحت له للذهاب إلى باكستان للمشاركة في بناء المعهد المركزي للدراسات الإسلامية بالتعاون مع فضل الرحمن، لكن، وكما سبق القول، انتابه الإحباط، فغادر إلى الولايات المتحدة، ثم جاءت فرصة التدريس في كلية الأديان في جامعة (تمبل)؛ إذ منح الفرصة ليبني مقررات دراسية دون تدخل من الجامعة؛ ليحقق ما كان يحلم به. وشهادة (اسبوزيتو) مرة أخرى جديرة بالاقتباس؛ إذ يقول:

"الدراسة على يد إسماعيل في تِمْبِل لديها مزايا عديدة، بعضها لم أكن حتى وقت لاحق أقدّرها كثيراً في مسيرتي. الأكثر أهمية هو فهم الإسلام الذي اكتسبته "من الداخل." أصبحتُ أقدّر حقيقة واضحة، كثيراً ما أغفلها الآخرون، وهي أهمية الاستماع إلى أصوات المؤمنين، وليس فقط معرفتهم من خلال كتابات الآخرين. فَهْمُ "المعنى" من خلال العقيدة أو الشعائر، أكثر من مجرد قراءة النصوص أو الكتيبات. وفَهْمُ هذه العقيدة ضمن سياقاتها وكما يعبّر عنها أولئك الذين يمارسون شعائر الإيمان."[1] ويمضي في القول: "في تِمْبِل تعلمت الإسلام سواء من النصوص والسياقات، من الكتب، ومن إسماعيل، ومن طلاب الدراسات الذين جاءوا إليها من نيجيريا ومصر إلى باكستان وماليزيا؛ إذ تقدم هذه الميزة الفريدة للبرنامج البصيرة المباشرة ليس فقط لوحدة الإسلام، وإنما أيضا لتنوُّعه، ودور الدين والتاريخ والسياسة والثقافة. تعلَّمتُ ليس فقط من الكتابات التقليدية للمسلمين والمستشرقين، بل أيضاً من وجهة نظر المؤمنين أنفسهم، مما يتيح لي أن أرى وأفهم الإسلام كدين حيٍّ ومعاش. وكان إسماعيل فاروقي الأكثر ديناميكية وجاذبية من بقية المحاضرين. فهو –مثل جميع المعلمين الكبار– يجعل طاقته وشغفه بموضوعه تنتقل إلينا. وكان زملائي المسلمون

(1) Ibid., p. 6–7

مسرورين وحريصين على التعلم، وجديين، فضلاً عن كونهم مؤمنين أتقياء في مقتبل أعمارهم، وكانوا أصحاب مطامح علمية كبيرة. معظمهم كانوا هناك ليس لمجرد دراسة الإسلام، ولكن لدراسة الأديان الأخرى خاصة، وتحديداً المسيحية واليهودية... لقد مكنتني حلقتي مع زملائي الطلاب، وبالطبع دروس إسماعيل الموجهة، من إشراكي في المجتمع العالمي الإسلامي منذ البداية، قبل وقت طويل من بدئي لرحلاتي البحثية في الخارج."[1]

وكان إسماعيل قادراً على إنشاء مقرر دراسي يمثل ظاهرة بحد ذاته ليس لبناء البرنامج علمياً، ولكن اجتماعياً كذلك. بنى البرنامج بمعية عدد هائل من الطلاب في الصف، الذي كنت تتفاعل معهم كل الوقت، فتتعامل معهم أكاديمياً، وتتفاعل معهم اجتماعياً. هذا ما اعتقد أن الذي جعل إسماعيل فريداً حقاً، وأكسب الدراسة في تمبل ميزة هائلة لا تتمثل في المستوى العلمي الرفيع لإسماعيل فحسب، ولكن في جعل الطلبة الذين يدرسون في الولايات المتحدة لا يشعرون -أسوة بغيرهم- بالحاجة في هذه المرحلة للذهاب إلى العالم الإسلامي، فهم يدرسون في سياق إسلامي، وليس فقط على يد أستاذ مسلم.[2]

مما يستشف من ذلك أن الإضافة التي خلقها الفاروقي في المقررات الدراسية الغربية عن الإسلام تتمثل في إخراجها من المنظور التقليدي الاستشراقي القائم على الدراسة الفيلولوجية النصية، إلى رحابة المعايشة الاجتماعية للقيم الدينية العلمية والروحية الإسلامية.

أما التأثير الثالث الذي أنشأه الفاروقي في نفس (اسبوزيتو) فهو كامن في التعاطف مع موضوع الدراسة، وضرورة فهم التجربة الدينية والتاريخية الإسلامية من الداخل. وهنا يبزُّ (اسبوزيتو) معاصريه ومن سبقه في هذا الشأن، فقد علّمه الفاروقي أن يتعامل مع الإسلام بوصفه ديناً، لا بوصفه

(1) Esposito." Editorial… ", p. 5.

(2) Ibid., p. 5.

خصماً سياسياً، أو هدفاً للاحتلال الاستعماري.[١] فاستطاع (اسبوزيتو) أن يتمثل فهم أستاذه حول الديانات الإبراهيمية الثلاث، الذي عبّر عنه الفاروقي في كتابه عن الأديان الإبراهيمية الثلاثة.[٢] وفي هذا الشأن يسجل (اسبوزيتو): "إن أغلب الناس لايدركون الصِلات بين التقاليد الدينية اليهودية، والمسيحية، والإسلامية، هناك فعلاً تقاليد مشتركة بين هذه الديانات، وكلها نبعت من الشرق الأوسط، ولديها الكثير لتتشارك مع بعضها البعض."[٣] والمفارقة أن (اسبوزيتو) نفسه قد أصبح طرفاً في الحوار الديني، بل إنه مثّل في أحد الحوارات الطرف المسلم؛ إذ دخل في جدال مع رجل دين كاثوليكي من بني مذهبه.[٤]

والمسألة الثانية التي لقّنها الفاروقي لتلميذه في مجال الحوار الديني، هي ضرورة الابتعاد عن القضايا الفقهية اللاهوتية، والتركيز على موضوعات الأخلاق، والتعايش المشترك، وتبادل الخبرات. يقول (اسبوزيتو): "إن الهدف المشترك في الحوار، هو أن نبدأ من حيث تلتقي مصالحنا المشتركة، أن نتوصل إلى فهم أفضل لما نتشارك به كمؤمنين من أبناء إبراهيم، وننظر بعين التقدير لما نحن عليه من اختلاف وتمايز."[٥]

بمثل هذه الكلمات المخلصة ندرك بأن الفاروقي رحمه الله لم يمت، فهو حي في أفكار طلابه، وتتداول أفكاره كلما أشرقت شمس الله وغابت.

---

(1) Simei ,*New-Oreintalism*..., p. 117.

(2) Al-Faruqi, Ismail. *Triallgue of the Abrahamic Faiths*, Herndon ,VA,1982

(3) John L. Esposito on the Historical Context of the Muslim- Christian Relations *http:// asiasociety. org/*

(4) Akram, Ejaz,"Interfaith Dialogue: Are Islam and Christianity on a Collision Course" *http://www. beliefnet. com/Faiths/2000/03/Interfaith-Dialogue-Are-Islam-And-Christianity-On-A-Collision-Course. aspx?p=2.*

(5) Ibid., p. 2.

خاتمة:

بعد الرحلة الشاقة والمثيرة لاقتفاء آثار الفاروقي على أرضنا وفكرنا، يمكن للمرء أن يتوقف ليقدم بعض الملحوظات من قبيل:

أ- الأمة العربية والإسلامية اليوم بأمس الحاجة إلى إضاءة سير عظمائها، ومن بينهم رجال من مثل المرحوم إسماعيل الفاروقي، لأنه ستقدم للأجيال الحالية والتالية الأنموذج على العربي والمسلم بأنصع صوره من الإيمان الصادق والقدرة والهمة العالية لتعرية المتخاذلين والمتواكلين، وليكن دائبنا: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ب- الأهمية البالغة لإنجازات الفاروقي العلمية والمؤسساتية، فإن أصداء هذا النشاط تكاد تكون معدومة لدى الشباب العربي والمسلم، الذي هو بحاجو ماسّة لبعث هذا الفكر؛ لأن أمتنا على مفترق الطرق بعد أن نبذت ثياب الماضي البالية، وهي في مرحلة البحث عن طريق.

ت- لا بدّ لأجل ذلك من ترجمة الدراسات القيمة التي كتبت عن الفاروقي، علاوة على ترجمة كتبه وتحليلها ودراستها، وبالإمكان إتاحة المجال أمام طلبة الدراسات العليا لتسجيل موضوعات تتناول فكر الفاروقي وسيرته.

ث- إن المعركة الفكرية متواصلة الاحتدام على الساحة الأميركية والأوروبية بين دعاة السلام العالمي ومشعلي أوار الحرب، ولا بدّ من الدخول بقوة إلى ميدان هذه المعركة، لإفهام أولئك الذي يسعون لنصرتنا بأننا نقدِّر لهم عملَهم ونأخذ بأيديهم في معركة هي معركتنا أوّلاً وأخيراً، فلا بدّ من التنبّه لكي لا يعود صهاينة جدد -من شاكلة برنارد لويس وتلاميذه- ليضعونا في صورة حالكة كان من أثرها أن شنت حروب ضدنا، وسفكت دماؤنا، وهُجِّرْنا من ديارنا، ونحن عاجزون عن فهم

ما يحيق بنا، نجادل خصوماً وهميين، ونصرعهم دون أدنى عناء، بينما تدور بنا الدوائر.

ج - الإعداد لا بدّ أن يكون مؤسساتياً على غرار ما صنع أجدادنا من مدارس ومراكز علمٍ مستقلة تدعمها أوقاف ثابتة، وتتوارث الأجيال رعايتها وإدامتها.

ح - لا يمكن فهم الآخر إلا بمحاورته والانفتاح عليه، كما لا بد من بناء صورة متماسكة ومشرقة لقيمنا الإسلامية الخالدة. وتجربة الفاروقي جديرة بكل اعتزاز، فإيغاله في دراسة الدين المسيحي ومكوثه في الغرب شطراً كبيراً من حياته لم يمنعه من البقاء على نقاء عقيدته وسلامته، ولم يصرفه يوماً عن الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. وكما ذكر هو لأحد تلاميذه: أن نِعم الله -سبحانه وتعالى- علينا أكبر من أن تُحصى. ولو لهجنا بشكره ملايين المرات لما وفيناه حقه.